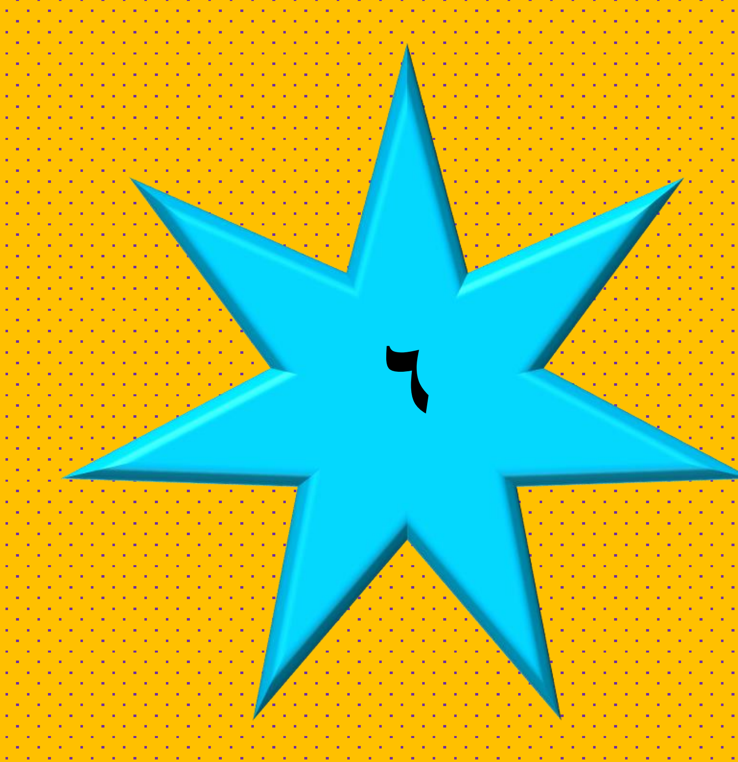
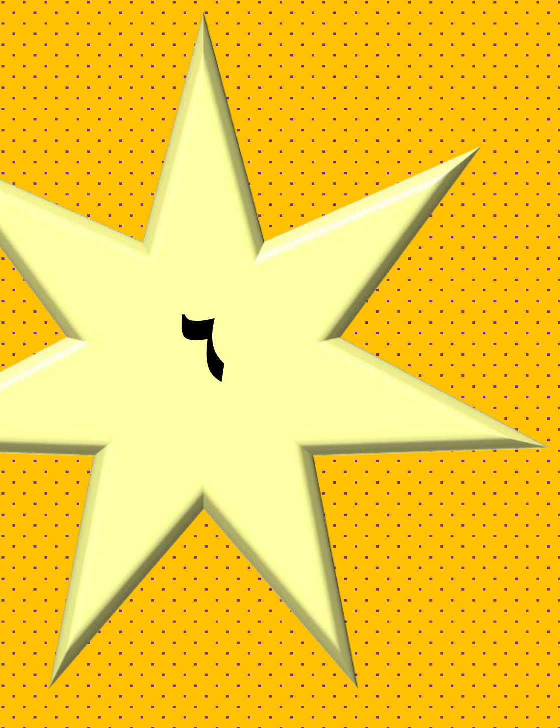


التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين





صورة الأم

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

صورة الأم

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

صورة الأم

جمال شاهين



١

شارع الأمراء من الشوارع المعروفة في المدينة الكبيرة فهو شارع الأطباء والصيدليات والعيادات والمختبرات الطبية والتصاوير الطبية المتنوعة ومستودعات الأدوية الكبيرة ومتعلقات المستشفيات وكليات الطب في الجامعات المختلفة ، وفي هذا الشارع الواسع الكبير ذو العمارات الشاهقة وفي عمارة النهاري إحدى البنايات المشهورة في الشارع بدأت فصول هذه القصة البوليسية ، ففي الطابق الثالث عيادة لأحد الأطباء القدماء ، معلق على مدخلها لوحة صغيرة وقديمة عيادة الدكتور غازي الرمانية .. وتتكون هذه العيادة من صالة للجلوس تجلس فيها مساء ذلك النهار فتاة حسناء نهى سالم تقوم بأعمال السكرتاريا للطبيب ومحاسبة المرضى ، وهناك غرفة الطبيب غرفة المعالجة ، وهناك حجرة صغيرة تكون مكتبا للطبيب ، وهناك الحمام ومكان صغير لصنع القهوة والشاي ، ويعمل سوى الطبيب والسكرتيرة في هذه العيادة الخاصة ممرض وخادم للدكتور شاب قد تجاوز الثلاثين من العمر نحيف البدن فايز نائل ، فهذا الشاب النحيف البنية يعمل خادما للطبيب منذ أكثر من خمس من السنوات ، ثم علمه الطبيب مهنة التمريض فأصبح مساعدا له في العيادة ، فأصبح يقوم بالتغيير على الجروح والإصابات وإعطاء الحقن والإبر الطبية وكذلك قياس الضغط وغيره ، ويقوم بصنع القهوة والشاي للطبيب والعاملة نهى سالم وضيوف الطبيب وأحيانا للمراجعين من المرضى ، بدأت هذه القصة في ذلك النهار عندما جلس الطبيب بعد أن فرغت العيادة من المراجعين والمرضى يتحدث مع السكرتيرة الحسناء نهى سالم ، وكان الخادم والممرض فايز يعد لهما كوبين من الشاي ، فكان الطبيب يقول للفتاة الشابة الحسناء : أتمنى يا آنسة نهى أن أعرف لماذا لم تتزوجي بعد ؟! .. فأنت فتاة جميلة ومتعلمة .. حسناء!!

فترد الفتاة المتبسمة من السؤال على الطبيب الذي تجاوز الستين سنة من عمره قائلة : أنا ما زلت صغيرة على الزواج ، وأنا أيضا ليتني أعرف لماذا لم يتزوج حضرة الدكتور الشاب لحتى الآن ؟!

ورسمت ضحكة على وجهها ، فجاراها الطبيب الأنيق في ضحكها وهو يقول : معك حق ، ولكني لحتى اليوم لم أجد المرأة التي تملأ نفسي وكياني نحوها.

فتظهر الفتاة الدهشة ثم تقول : الله اكبر !! ..أمعقول هذا ؟! .. كل هذه السنين ـ وقد تنقلت في مشارق البلاد ومغاربها ـ لم تصطدم بامرأة تأسرك بحسنها وجمالها .. إنك تبالغ جدا يا دكتور !

فصمت الطبيب الكهل أو الشيخ لحظات ثم قال بعد تنهد : إيه .. لقد مضت السنون بدون أن يحس بها المرء ..صدقي يا آنسة نهى أنني لم أجد هذه الفاتنة !! ألا تريدين أن تحدثيني عن سبب تمنعك وعزوفك عن الزواج ؟ !

فعادت تقول وهي ضاحكة : وأنا مثلك لم ألتقِ بفارس أحلامي الذي يملأ روحي وكياني عشقا وغراما.

فيقول الدكتور مازحا : لولا الفارق الكبير بيني وبينك .. أكثر من خمس وعشرين سنة لطلبت يدك .. عجيب أمر الشباب في هذا الزمان ! .. فهم لا يرون جيدا.

فقالت باسمة : ما تراه جميلا يا دكتور قد يراه غيرك قبيحا!

ـ لا .. لا .. لست أبلها أيتها الحسناء .. لابد أن أحدهم غدر بك وكرهك في جنس الرجال على كل حال مصيري أن أعرف قصة حياتك.

فضحكت الفتاة وقالت : لا يوجد قصص إلا في مخيلتك يا دكتور.

قدم لهما الشاب الخادم فايز أكواب الشاي ، فوضع أمام الدكتور واحدا وآخر أمام السكرتيرة وأخذ لنفسه واحدا وجلس على مقاعد المراجعين والمرضى ، وقد أشعل سيجارة وأخذ يراقب دخانها المتصاعد ويرشف شايه ، وكان يستمع للحوار الدائر بين الطبيب والسكرتيرة نهى ، فلما شكروه عادوا للحديث عن الزواج وتأخر سن الزواج ، والممرض الشاب لم يتفوه وينبس بأي كلمة إلا عندما سمع الطبيب غازي يصرح أمام العاملة بأنه راغب بالسفر لجزيرة قبرص لقضاء أسبوع أو أكثر في الاستجمام فقال دهشا : متى تريد السفر يا دكتور ؟!

فالتفت الاثنان نحو الشاب المستغرب والمستفسر وردت السكرتيرة قبل أن يجيب الدكتور قائلة : لابد أن فايزا يفكر بإجازة وزيارة أمه وجدته كالعادة ؟!

فهز الشاب رأسه مؤكدا ذلك وقال : نعم .. أريد أن أسافر للبلدة فلي أكثر من ثلاثة شهور لم أزرهما.

فقال الطبيب : لا بأس يا فايز .. الليلة سأعرف متى يكون السفر؟ سأسافر برفقة الدكتور مالك جبر .. هي رحلة .. نزهة .. تغيير جو كما يقال .. اليوم الاثنين وقد نسافر صباح أو مساء الخميس فإذا تأكد السفر الليلة سأسمح لك بالسفر لبلدتكم يوم الأربعاء .. وأنت يا آنسة فليكن دوامك أثناء غيابي كل يوم ساعتين صباحا لترتيب مواعيد المراجعين والمرضى

فهزت نهى رأسها وقالت : أمرك سيدي الدكتور .. رحلة سعيدة.

فقال الطبيب مازحا : رحلة ينقصها حسناء مثلك ترافقنا.

فضحكت نهى وقالت : أنا جاهزة يا دكتور.

فاستغرب الطبيب وقال بضحك : لا .. أنت تمزحين ..هل يسمح لك أهلك بالسفر ؟!

ـ أنا سيدة نفسي .. لا أحد يتحكم فيّ.

ـ الله!!

فقالت : لا تستغرب ، فأنا أعيش مع أمي .. وكل إخوتي متزوجون ويسكنون في منازل متفرقة .. وأبي قد ترك أمي قديما .. ولا يهتم بنا.

ـ على كل حال سأفكر بسفرك معي المرة القادمة ..لا يوجد معنا نساء في هذه الرحلة .. هي بضعة أيام استجمام يا آنسة نهى.

فقالت : أشكرك يا سيدي الطبيب ، واعلم أنني لا أستطيع السفر هذه الأيام أمي متعبة وأقوم على رعايتها.

فعلق الطبيب وهو يبتسم : أخشى أن يكون هذا هو السبب الذي حرمك من الزواج ؟!

فقالت : لا تخشى شيئا فكل أخواتي متزوجات .. وأنا لي أسبابي الخاصة فاعفني من الحديث

والإفصاح عنها.

ـ فقد عفوتك من التصريح .. لكل إنسان أسراره الخاصة .. ولكن الفضول البشري قاتل المهم أيها الأصدقاء قد أسافر صباح الخميس أو مساءه حسب حركة الطائرة ؛ فإذا تقرر ذلك فأنت يا فايز صباح الأربعاء تنطلق إلى قريتكم .. أعتقد أنها تبعد عن المدينة أكثر من ثلاثمائة كيلو متر .. لقد عملت قديما في تلك القرى والمدينة التابعة لها تلك القرى .. أيام عملي موظفا في وزارة الصحة .. أول سنوات الخدمة الحكومية عندما يوظف الطبيب يكون عمله في الريف والقرى النائية .. فسلم على أهلك.

فقال فايز : أشكرك أيها الدكتور .. لو أعطيتني بعض الفلوس.

ـ بالتأكيد.

وأخرج الطبيب دفتر الشيكات البنكية وقال له : كم تريد ؟

ـ راتب شهر.

فكتب الطبيب شيكا بمائة وعشرين دينارا وقال للسكرتيرة بعدما وقع على الشيك : سجلي في الدفتر .. راتب الأستاذ فايز والآن يا فايز يمكنك الانصراف للبيت.

تناول فايز الشيك وشكر الدكتور وأخذ أكواب الشاي الفارغة وغسلها ووضعها في مكانها المناسب ، ثم خلع الثوب الأبيض ثوب العمل وارتدى جاكيته ووضع الشيك بداخلها وودعهما وانصرف لبيت الدكتور .. فمنزل الدكتور عبارة عن شقة في عمارة الساعد وهو الشارع الخلفي لشارع الأمراء ، فمر فايز في طريقه للبيت على محلات الخضار واللحوم واشترى ما يناسب الدكتور للعشاء ، وعاد لبيت الطبيب يعد لسيده طعام العشاء .. وفي صباح الأربعاء استأذن فايز نائل الشاب القروي من سيده الدكتور غازي بالسفر لبلدته فقال له الدكتور بعدما تناولا الإفطار : رافقتك السلامة .. كيف ستسافر ؟

فرد فايز : ربما بواسطة القطار .. سأنطلق بتكسي إلى محطة القطار .. وسأتصل بك من القرية مودعا إن شاء الله.

ـ لا داعي يا فايز بعد عشرة أيام أرجو أن أجدك هنا.

فقال فايز : سأفعل يا سيدي .. لن أتأخر .. صدق عندما أصل للقرية اشتاق للمدينة سريعا القرية مملة .. لا يوجد فيها رفاهية فليس أمامنا هناك إلا مشاهدة التلفزيون والبرامج الثقيلة على النفس.

فقال الدكتور : معك حق أفلام هذه الأيام مكررة ومملة .. إلى اللقاء.

وصافح فايز الدكتور ، وحمل حقيبته على كتفه وهبط بالمصعد على الطابق الأرضي فوجد البواب في غرفته يجلس مستيقظا فسلم عليه ، وأخبره بسفره وأوصاه على شقة الدكتور ، وأن يرسل الخادمة ماجدة لتنظيفها بعد أيام وقبل مجيء الطبيب من السفر ، فوعده البواب الشيخ خيرا ودعا له بالعودة سالما ، فشكره فايز وانطلق لمحطة القطار واشترى تذكرة لأقرب مدينة يصل إليها القطار ومنها سيركب سيارة إلى قريته نسمة الربيع



٢

صباح يوم الخميس كان الضابط المقدم الشرطي علي محمود ضابط البوليس المعروف في شرطة العاصمة يتحدث مع مساعده الملازم يحيى قائلا : كيف عرفتم بالجريمة ؟

فرد عليه الملازم يحيى قائلا : الصدفة ساعدت على كشف هذه الجثة وهذه الجريمة .. البواب العجوز أبو حسونة بواب العمارة كشف ذلك ، فلما جاءت المرأة ونزلت في شقة الدكتور غازي الرمانية ، فقد اتصلت ، بالبواب وطلبت منه أن يرن عليها في الثامنة صباحا .. فلما رن عليها أكثر من مرة ولم ترد ظن أنها مستغرقة في النوم ، فتحامل على نفسه وركب المصعد إلى الطابق الرابع حيث شقة الدكتور المذكور .. قرع وضغط على جرس الباب .. لا أحد يرد ضرب الباب بيده عدة ضربات أيضا لم ترد عليه فهبط ثانية وأخذ مفتاح الشقة المودع لديه ، وقام بفتح الباب وهو في غاية الخوف والقلق .. وهكذا اكتشفت الجريمة .. فاتصل بنا وقمنا بإجراء اللازم وقد حضر الطبيب الشرعي ووكيل النيابة ورجال المختبر الجنائي والبصمات وقاموا بإجراء المناسب ، ثم أمر الطبيب بتحويل الجثة للمستشفى العام للقيام بتشريحها القاتل دخل الغرفة وقتلها وهي نائمة كشف الغطاء عن رأسها وأطلق ثلاث طلقات على الرأس والوجه فأرداها قتيلة وهرب

فقال المقدم علي : وماذا يقول الدكتور ساكن الشقة ؟

فقال يحيى : الدكتور سافر مساء أمس .. فلقد كان مقررا كما قالت عاملة العيادة أن يسافر صباح الخميس أو مساءه ..ولكن تبين لهم أن طائرة مسافرة لقبرص ليل الأربعاء بدلا من صباح الخميس فسافر عليها مع زميل له طبيب أيضا اسمه مالك جبر ، والفتاة لا تعرف بموضوع هذه المرأة التي نامت في فراش الطبيب ؛ ولكنها تقول قد تكون قريبة له.

كان المقدم علي قد جاء للدائرة لما سمع بهذه الجريمة ، وذلك عندما اتصل به مساعده الملازم يحيى ، وكان من توه قد عاد من إحدى المحافظات ، فهم يتابعون قضية مطاردة لإحدى العصابات المختصة في تهريب المخدرات في إحدى المدن الكبيرة ، فلما استمع لكلام مساعده

قال : ألم تعرفوا هوية الضحية أو المجني عليها بعد ؟

فقال الملازم : لا .. إنها امرأة في الأربعينيات من عمرها ، قد تكون دخلت في الخمسينيات متوسطة الطول وليست بالبدينة ، ولم نجد في حقيبتها ما يدل على شخصيتها .. لا توجد بطاقة شخصية أو رخصة قيادة ، وحتى خادم الدكتور قد رحل وسافر لبلدته وقريته من صباح يوم الأربعاء ، والدكتور فعلا قد سافر مساء أمس، ولم يترك عنوانا له هناك ، وقد يغيب عشرة أيام على الأكثر كما تقول السكرتيرة نهى سالم.

ـ جريمة غامضة فعلا .. ننتظر تقارير البحث الجنائي المختبر والآثار .. فتقرير الطب الشرعي لن يفيدنا كثيرا في هذه الجريمة ، فهي جريمة مدبرة ، ودخل القاتل الشقة بكل ثقة.. فهو يملك مفاتيح الشقة قد نستفيد من التقرير فقط في بيان وقت الجريمة .. سؤال لماذا اتصلت بالبواب ليوقظها في الثامنة صباحا ؟

فقال يحيى : لا نعرف .. اتصلت به حوالي العاشرة ليلا فقالت له إنها تنزل في شقة الدكتور غازي وترجوه أن يتصل بها في الثامنة صباحا.

ـ ألم يستغرب البواب من وجودها في شقة الدكتور رغم سفره مساء ؟!

ـ لا .. فالدكتور غير متزوج ، وهو معتاد على فعل ذلك ، وكثيرا ما أعطى مفتاح شقته لنساء ورجال .. فكان الأمر طبيعيا بالنسبة له ، وهو لم ير المرأة عندما دخلت العمارة ؛ لأنه ربما كان في إحدى الشقق مع بعض المستأجرين.

فقال المحقق: الخادم فايز.. ألا يمكننا الاستفادة من أقواله ؟ ما اسم قريته ؟

ـ تقول نهى السكرتيرة إنه لما علم برغبة الدكتور بالسفر إلى جزيرة قبرص طلب إجازة لزيارة أهله في قرية نسمة الربيع من قرى مدينة الرواحل غرب العاصمة ويقول البواب أبو حسونة إنه ودعه صباح الأربعاء وذهب لمحطة القطار ويوجد رقم هاتف له عند البواب.

فقال المقدم علي مفكرا: نحن يلزمنا الحديث مع الدكتور نفسه أكثر من الآخرين لنعرف منه من هي المرأة المقتولة ؟ ولماذا أتت لتنام في شقته أثناء غيابه وغياب الخادم ؟.. متى يرى

الدكتور الشرعي حدوث القتل ؟

ـ يعتقد أنها بعد الواحدة ليلا ؛ لأن المرأة قتلت وهي مستغرقة بالنوم ويظن أنها قد تناولت حبة منوم ، وسيتأكد من ذلك عند تشريح الجثة ، وسيقوم البواب بمشاهدة المرأة في المشرحة ليؤكد عدم معرفته لشخصها ، وكذلك الآنسة نهى ولكنها رفضت مشاهدة الضحية ، وتخاف من مشاهدة الأموات ، وسنحاول عرض رسمها عليها ؛ لعلها تكون قد رأتها في عيادة الدكتور منذ عهد قريب.

فقال علي : إجراءات لا بأس بها ؛ ولكن معرفة اسم الضحية وعنوانها سيوضح بعض الغموض من حولها ، ولقاؤنا مع الطبيب غازي سيوضح الكثير من الغموض ولا بأس من جمع بعض المعلومات عن هذا الطبيب قبل عودته من رحلته لقبرص.

فقال يحيى متعجبا : العجيب أن هذا الطبيب رغم وصوله الستين كما تقول السكرتيرة غير متزوج لليوم ، فلا أسرة له ، ولا أم ولا أب ، وحتى أقارب لا تعرف له السكرتيرة ؛ ولكن البواب ذكر أن له بعض الأقارب يزورنه بين الحين والآخر.

فقال علي : هذه السكرتيرة حديثة عهد بالعيادة ؟

أجاب الملازم : لها أكثر من سنة تعمل عند الطبيب غازي ؛ ولكنها خائفة من شيء ؛ ولكن لا أرى أن له علاقة بالجريمة.

فقال المقدم وهو ينهض عن كرسيه : لا بأس يا ملازم يحيى من مشاهدة مسرح الحادث .. هيا نذهب.

رافق الملازم الضابط علي إلى مسرح الجريمة ، فانطلق الضابطان المحققان في جريمة شقة الدكتور غازي إلى عمارة الساعد فاستقبلهما البواب ، ورحب بهما وسار معهما إلى الشقة فوجدا الشرطي الحارس يقف أمامها ، وهو يحمل رشاشه الصغير فأدى لهما التحية العسكرية ثم قال : سمعت جرس الهاتف يرن أكثر من مرة في الداخل.

فتح البواب باب الشقة وزلف أمامهما ، ومشى الملازم يحيى أمام الضابط علي نحو حجرة نوم

الطبيب حيث وجدت الجثة ، فكانت حجرة فاخرة وفارهة ولها حمام داخلي خاص بها ، وأخذ الملازم يشرح الوضع الذي كانت عليه الجثة عندما دخلوها أول مرة ، ولما انتهى الملازم من الشرح والوصف قال المقدم علي : ألم تجدوا آثار أقدام والحذاء أو الأحذية على السجاد ؟

فقال يحيى : هذا السجاد لا تظهر عليه آثار الأقدام جيدا ولكن رجال الرسم والتصوير قاموا بتصويرها ؛ ربما تنفع عند وضع الأدلة بين يدي النيابة العامة .. ويبدو أن القاتل ـ وأشار لمكان ما قرب السرير ـ وقف هنا ورفع الغطاء عن رأس الضحية أو كان الرأس مكشوفا مستغرقا في النوم وأطلق الرصاصات الثلاث وغادر الغرفة بكل هدوء ثم غادر الشقة.. ولم تفتح الشقة بأي عنف ، فالقاتل يحمل مفاتيح لها ، وقصة المفاتيح ليس من الصعب الحصول عليها ما دام أن الدكتور يسمح للآخرين بالنوم بشقته .. وتحدثنا مع بعض سكان العمارة فلم يشاهد هؤلاء شيئا ، ولم يسمع أحدهم صوت الرصاص كما يزعمون.. وأبو حسونة البواب يقول إن عينيه غلبهما النوم بعد منتصف الليل ، ولم يشعر بحركة المصعد صعودا وهبوطا ، ولم يسمع صراخ وصوت رصاص تلك الليلة ؛ ولكن لا يعتمد على أقواله ، ربما نام من العاشرة أو قبلها واستيقظ على اتصالها.

وأخذ المفتش علي يتفرج على الصور المعلقة على جدران الحجرة فدهش منها ، فأكثرها صور لنساء جميلات شبه عرايا فقال وهو ينظر لإحدى الصور : ألم تخبرني يا ملازم يحيى أن الدكتور أعزب لم يتزوج ؟

ـ هكذا أخبرنا البواب أبو حسونة، وذكرت ذلك كذلك الآنسة نهى سكرتيرة العيادة.

ـ فلماذا إذن يعلق مثل هذه الصورة المثيرة للشهوات ؟!.. بل لماذا هذا السرير الكبير في غرفة النوم ؟! .. أليس هذا غريبا ؟!

ـ غريب فعلا!!

ـ يبدو أن صاحبنا الدكتور صاحب عشق وغرام ثم قال المقدم بكل ثقة : أول ما يصل هذا الدكتور من قبرص فأحضروه للدائرة لنسمع أقواله .. لنعرف لماذا قتلت هذه المرأة هنا في

حجرة نوم الدكتور الرمانية ؟!

ـ ألا ننشر رسمها في الصحف ؟ .. فقد كلفت رجال الرسم والتصوير بإعداد صورة لها لنشرها في الصحف فقد يتأخر الدكتور .. فسكرتيرته تقول إنه قد يغيب عشرة أيام وهذه فرصة لهرب المجرم.

ـ مهما هرب سنصل إليه.. وإذا قصدت بالهرب خارج البلاد فقد هرب من ساعات ، وربما هو كان يسعى أن تكتشف الجثة بعد عودة الطبيب ؛ ولكن اتصال تلك المرأة بالبواب هو الذي ساعد على اكتشاف الجريمة بعد ساعات .. ونحن لم نصل لهوية القتيل أو جسم الجريمة لمن ؟ ولا نعرف الدافع بعد فكيف سنعرف القاتل ؟!



٣

لما هبط الدكتور غازي لأرض المطار ومشى إلى حجرة تدقيق وختم الجوازات وقرأ الموظف اسمه حجز الجواز وتحدث مع رجل آخر ثم قال : الرجاء الانتظار بضع دقائق.

فتعجب الطبيبان وهمس مالك جبر للموظف بعد أن ختم جوازه واستلمه : ما الأمر أيها المحترم ؟

فأجابه الموظف قائلا : لا تنزعجا .. بعد قليل ستعرفان.

وبينما هما يتحدثان مع الموظف اقترب منها ضابط وقال : مرحبا بكما .. ممكن السير معي نحو هذا المكتب ـ وأشار لمكتب خاص به ـ وطلب لهما فنجانين قهوة وشرح لهم بإيجاز الأمر فاستغربا وقال غازي : تحدثت مع السكرتيرة نهى مرتين ولم تتحدث عن تلك الجريمة والحادثة؛ بل قالت الأمور على ما يرام.

فابتسم الضابط وقال : تعليمات البوليس ، الأخ مالك يمكنك الانصراف ، أما الدكتور غازي فبعد دقائق ستأتي سيارة بوليس لنقله لدائرة التحقيق لسماع أقواله على وجه السرعة.. نحن نعتذر لهذا الإزعاج .

فقال مالك : أيحتاج الأمر لمحامي ؟!

فقال غازي : وهل نحن متهمون يا مالك ؟! .. امرأة وجدت ميتة أو مقتولة في شقتي .. هل يعني هذا أنني مجرم أو قاتل ؟!

فقال الضابط : لا يحتاج الأمر لمحامي سيأخذون أقوالك ، ثم يخلون سبيلك وتنصرف إلى شقتك .. وابتسم الضابط وقال : وبالطبع لن تجد جثة المرأة المقتولة فقد تم دفنها.

فتبسم الرجلان ابتسامة مقتضبة وقال مالك : هل يمكنني البقاء مع صديقي ؟

ـ بالتأكيد .. وها هي حقائبكم قد وصلت..

ولم يمض وقت طويل حتى كان المقدم علي محمود ومساعده الملازم يحيى يحييان الطبيبين ويظهران أسفهما الشديد لهذا الإزعاج ولكن ظروف الجريمة الغامضة اقتضت هذا الإجراء

العاجل والمزعج ثم قال علي : يمكننا سماع أقوالك هنا يا دكتور غازي.

فقال الدكتور غازي : أنا جاهز .. وذكر اسمه وسنه وعمله وعنوانه ثم قال : الحق أنا لا أدري لماذا قتلت تلك المرأة ؟! .. وهي قريبة لي وأمها خالتي .. فهي ابنة خالتي ونحن أصدقاء منذ زمن بعيد .. تزوجت مرتين ؛ ولأنها لا تنجب طلقت مرتين ، وأنا أساعدها ببعض المال بين الفينة والأخرى ، فهي تسكن في مدينة السمراء تسكن بجوار أخ لها متزوج هناك .. وهي قد اتصلت بي قبل السفر وأخبرتني أنها قادمة لزيارتي فرحبت بها، فأتت يوم الأربعاء قبل سفري بساعة أو ساعتين ..وحدثتني عن مشاكلها مع أخيها رامي ، فأخبرتها أنني مسافر بعد قليل وتركت لها مفتاح الشقة ، وسمحت لها بالمبيت في شقتي ريثما أعود وأتحدث مع أخيها .. وأما لماذا قتلت ؟! فالجواب لا أدري ولا أعلم .. والأمر غريب فعلا !! ولا أظن أن أخاها يفعل ذلك مع شراسته وقسوته فهي تساعده في النفقة على عياله بل سيصدم بموتها.

ولما كتب الشرطي اسم القتيلة وعنوانها قال المقدم علي : شكرا لك يا دكتور غازي .. وبعدما تستريح من السفر سنذهب معا لزيارة هذا الأخ قد نجد شيئا عنده ، ويا حبذا لو ذكرت لنا عنوانه.

وبعدما وقع الطبيب غازي على أقواله بشأن الجريمة غادرا المطار ، وهو يقول لصاحبه : ولماذا قتلت هذه الملعونة في بيتي وعلى فراشي ؟! أمعقول أن يكون لها عشيق وغار مني فقتلها ليورطني ؟.!

فقال مالك : ولماذا أذنت لها بالسكن في بيتك لو أعطيتها بعض المال وصرفتها ؟!

فرد غازي قائلا : كان الوقت ضيقا ، والوضع شديد بينها وبين أخيها؛ بل أخبرتني أنه هددها بالقتل ، وأخشى أن يكون قد فعلها المجنون .. فهو يتعاطى المخدر ويشرب الكحول بحماقة ، ووضعه المادي سيئ وهي لا تلجأ إليّ إلا عندما تتأزم الأمور جدا بينهما.

فقال مالك: أيها الصديق الساعة الآن السابعة ليلا هل ستنام في الشقة أم تنزل عندي ؟

فكر غازي قليلا قبل أن يرد ثم قال : نعم أين سأنام الليلة ؟ .. السرير يحتاج إلى تغيير لقد قتلت في فراشي .. حتى لم تنم في غرفة الضيوف لتموت أو تقتل فيها لم يحلو لها النوم إلا على سريري .. أخشى أن استأجر شقة جديدة .. فأخشى أن يظل شبحها وخيالها يطاردني.

فقال مالك : أتظن أن رجال البوليس سيعرفون الجاني ؟ فهم لهم عشرة أيام لا يحركون ساكنا ولم يعرفوا اسم المغدورة ..

ـ لا أعلم ومن أين سيعرفون اسمها إذا لم تكن بطاقتها معها ولا يعرفها البواب ؟ .. إن لم يكن الجاني أخاها راميا فسيكون أمر معرفة القاتل صعبا وسيكون من الصعب معرفته .. أمر هذه الجريمة محير ومخيف يا صديقي ولكن المجرم اللعين يعرف أنها في بيتي وقتلها في بيتي.

ـ قد يكون القتل صدفة أو طارئا لم يخطط له ، مشاجرة بينها وبين شخص فتسلل إليها وغدر بها ..أو هي اتصلت بصديق لها ودعته للشقة وتشاجرا.

ـ ولكن البواب أبو حسونة لم يشاهد أحدا يصعد إليها ، بل لم يعرف بوجودها إلا عندما اتصلت به تطلب منه إيقاظها في الثامنة صباحا .. ولماذا يوقظها ؟!

ـ يا صاحبي هذا البواب رجل كبير ، ولا يجلس في غرفة البواب كثيرا ، فهو يتنقل بين الشقق هنا وهناك يشتري لهذه ويشتري للأخرى فيغيب في المتاجر والمحلات فلا يرى من يدخل ويخرج إلا من صدف ووجده أمامه.

ـ لست أدري .. فالضابط يرى أن أحدهم دخل عليها وهي نائمة بعد نصف الليل وقد فتح الشقة بالمفاتيح المقلدة ووقف بجوار التخت ورفع الغطاء عنها وأطلق الرصاص عليها وهي مستغرقة في النوم .. ألم تسمعه يحدثنا بذلك ؟ بل يرى الطبيب الشرعي أنها أخذت قرصا منوما ربما ظنته دواء الصداع أنا أضع علبة الأقراص المنومة على حافة السرير .. ولم يحدث أي عبث في محتويات البيت بل يقولون إنها تناولت طعاما خارج البيت لم تستعمل الثلاجة ولم توجد آثار وبقايا طعام سوى أنها شربت كوبا من الشاي من مطبخي ..أنا أعطيتها المفتاح وأخذت سيارة لبيتك ثم سار بنا التاكسي للمطار ..هل خرجت وجاءت برجل ؟

فالضابط ذكر لنا أن وضع مسرح الجريمة لا يوحي بسهرة بينها وبين شخص آخر

ـ إذن نعود للسؤال المهم .. لماذا قتلت ؟!

فقال غازي بحيرة : والقاتل من كلام المفتش حريص على أن لا يترك أثرا وراءه ولا أظن أن أخاها راميا يفعل ذلك .. يقتلها وهي نائمة ومن أين له مفاتيح الشقة ليدخل عليها ؟ هل فتحت هي له ؟ فقتلها وأغلق الشقة من الخارج ..فالضابط ذكر أن مفاتيح الشقة موجودة معهم .. فهو ليس ذكيا ليخطط لمثل هذه الجريمة المدبرة .. عشيق فعلها لا يوجد آثار تدل على ذلك والشرطي يقول إنه لم يسرق من البيت شيئا وهذا عليّ أن أوكده لهم .

فقال مالك : طال تفكيرنا فلنركب وتسير معي وتقضي هذه الليلة ضيفا عند صاحبك مالك وغدا صباحا نسير إلى شقتك ونتفقدها وننظر محتوياتها .. وخادمك فايز ألم يعد من بلده ؟

ـ كما تعلم ، فلما علم بسفري إلى قبرص طلب إجازة لزيارة أمه وجدته أم والدته، فهو من بلدة بعيدة عن المدينة يحتاج عدة ساعات للوصول للعاصمة ، ولابد أنه اتصل بالسكرتيرة العزيزة نهى وأخبرته بتأخري فتراه تكاسل عن المجيء ، وتراه تكلم مع البواب وكلفه بتنظيف الشقة بواسطة الشغالة ماجدة أم حمودة.

فقال مالك : هيا بنا للبيت وبعدئذ نفكر بالخطوة التالية يا صديقي العزيز.

ـ الفضول يدفعني لزيارة الشقة يا مالك .. ومشاهدة سرير الموت .. لعلني أصل لشيء لم يصل إليه الشرطة .. فأنا بشوق كبير لمعرفة الجاني اللعين .. لماذا قتلها في بيتي ؟! .. ومن أين حصل على مفاتيح الشقة ؟



٤

بعدما وصل الطبيبان لبيت مالك وسلما على الأهل وتناولا العشاء المعد لهما ، لم يستطع الطبيب غازي النوم في بيت صديقه ، فرأى أن أولاده وزوجته وأمه أحق بالجلوس معه، فاستأذن من صاحبه بالذهاب إلى أحد الفنادق وبعد أخذ ورد وشد ورخاء استسلم الطبيب مالك لرغبة صديقه ، وأخذ جواز سفره وترك حقيبته وودع صديقه وقال : عندما استقر في فندق سأتصل بك لتطمئن.

وركب سيارة أجرة نقلته إلى شارع الثورة حيث عمارة الساعد ، ودق الباب على البواب الذي كان ممددا على الفراش مستغرقا في نومه رغم أن الساعة لم تصل منتصف الليل بعد ، فنهض من نومه فزعا ومرحبا بالدكتور ومهنئا له بالعودة سالما ، ثم شرح له قصة الجثة التي وجدت في شقته ، ولما استمع لها قال في النهاية : لقد علمت ذلك يا أبا حسونة وأعطني المفتاح الذي عندك حتى استلم المفاتيح من دائرة البوليس .. فقد وجدوها عندما دخلوا الشقة فحرزوا عليها.

ـ يا دكتور .. هذه المرأة التي ماتت في شقتك أتعرفها ؟!

ـ بالتأكيد .. هي قريبتي ابنة خالتي .. هيا نصعد معا لتحدثني كيف اكتشفت الجثة ؟

ودخل الرجل الشقة وحدثه أبو حسونة كيف اتصلت به المرأة في الليل ، وطلبت منه إيقاظها في الصباح الساعة الثامنة ، وكيف رن الجرس عليها أكثر من مرة فلم ترد ، فصعد إلى الشقة ولم تفتح ، فعاد وأخذ المفتاح وفتح الشقة ثم وجدها ترقد في غرفة نوم الطبيب ، ودماؤها تملأ الوسادة والسرير ، فاتصل بالشرطة على الفور وختم حديثه قائلا : الشغالة ماجدة قد نظفت الغرفة من يومين .. لقد اتصلت بي الآنسة نهى وذكرتني بقرب وصولك فطلبت من الشغالة ماجدة تنظيف الغرفة وغسل الشراشف والوسادة وأرى أن السرير يحتاج لتغيير فقد كان غارقا بالدماء ولو تنام في غرفة فايز يا دكتور.

ـ أشكرك يا سيدي دعني الآن قد أنزل وأنام في بنسيون أو فندق سأتفقد البيت .. فرجال

الشرطة يقولون إنه لم يسرق منه شيئا ، ولم يعبث المجرم بشيء ، وأنا أدرى بما عندي.

ولما خرج البواب وأغلق الدكتور الباب وراءه بالمفتاح جلس على مقعد واسع أريكة في غرفة الاستقبال ، وأخذ يفكر بهذا الحدث الرهيب الغريب ، ولماذا كانت شقته مسرحا لهذه الجريمة ؟! وتوصل إلى نتيجة وهي لابد من مقابلة ابن خالته رامي .. والشرطة تريد أن يصحبها إليه مضى وقت وهو يدخن ويفكر على المقعد ، ثم سار للمطبخ وأعد لنفسه كوبا من القهوة وقال : لابد أن يأتي الخادم اللعين غدا .. كأنه ما صدق أن أسافر.

ولما جهز كوب القهوة سكبه في الكوب، وعاد لغرفة الاستقبال يفكر ثانية بابنة خالته المقتولة ، ولم يهتد لسبب مقنع بالقتل فيقول : لو قتلها رامي ثورة وانفعالا لانكشف أمره .. ولكن هذه جريمة مدبرة .. تسلل القاتل خفية وخرج خفية ولابد أنه استخدم مسدسا مركبا عليه كاتم صوت.. فلم يسمع صوت الرصاص في العمارة!!

أمضى الطبيب ساعات يدخن ويشرب القهوة ويفكر حتى غلبه النوم فتمدد على الأريكة واستغرق في النوم ، لم يفتح الخزانات والحقائب ليتفقد أشياءه لقد شدته أحداث هذه الجريمة التي حدثت في بيته ، وتمنى أن يكتشف رجال الأمن الجاني ليعرف منه دوافع هذه الجريمة، ولم يستيقظ الطبيب من نومه إلا على صوت رنين جرس الهاتف فنظر لنفسه والساعة ، فوجد نفسه قد نام على أريكة غرفة الاستقبال في ملابس السفر ، ونظر للساعة فوجدها العاشرة نهارا ففرك وجهه ورفع سماعة الهاتف فسمع صوت السكرتيرة نهى تتحدث من العيادة وتهنئه بالعودة وأنها عرفت ذلك من بواب العمارة ، فبين لها أنه متعب لا يستطيع العمل اليوم فلتؤجل المواعيد للغد ، وأعلمته أن الخادم فايزا اتصل يسأل عن عودته ، وأنه قد يتأخر يومين أو أكثر لأن جدته تحتضر وقد تموت فقال : اللعين إني بحاجة إليه على كل حال أخبريه بوصولي وليقضي يومين أو أكثر بجانب جدته.

وشكرها الدكتور ووضع السماعة واتصل بالبواب وطلب إفطارا سريعا ، ثم اتصل بمالك صديقه وتحدث معه بضع دقائق، ثم اتصل بمعرض للأثاث القديم وطلب منهم المجيء

لأخذ أثاث غرفة نومه ، ولم تمض ساعتان حتى كانت الغرفة فارغة من الأثاث ، فنزل بعد ذلك إلى متاجر ومعارض المفروشات واختار غرفة نوم جديدة ، وما دخل الليل حتى كانت الغرفة قد فرشت وأثثت بالأثاث الجديد ، ولما تجهزت انطلق لدائرة الأمن واستلم مفاتيح الشقة التي وجدت فيها بعد مقتل المرأة ، وقال له الضابط يحيى : نحن نبحث عن ابن خالتك رامي ذهبنا أمس للسمراء على العنوان الذي ذكرته لنا فأخبرتنا زوجته أنه غائب عن البيت منذ يومين .. وتبين لنا أنه رجل يشرب الكحول بشراهة ويتعاطى المخدر ومعروف لرجال الأمن هناك.

فعقب الدكتور قائلا : رجل هامل وفاسد ، وكثيرا ما يتشاجر مع أخته المطلقة عيدة ولولا أنه غبي لقلت إنه القاتل لها .. فالجريمة مدبرة ومخططة بإحكام ، ولو أنها عشوائية لقلت إنه الفاعل يا حضرة الملازم وكثيرا ما أصلحت بينهم.

ـ ماذا كانت تشتغل قريبتك ؟

سكت الدكتور فترة قبل الإجابة ثم قال : لا شيء .. هي قد ورثت بعض المال عن والديها ، وما أخذته من مطلقيها ، قد ذكرت لكم أنها تزوجت مرتين وطلقت فتجمع لديها بعض المال، وهي قد استثمرت أموالها في البنك وتأخذ عليها الفوائد والأرباح.

فقال الضابط : ولكن تبين لنا يا دكتور أن أخلاقها لم تكن ولابد ؟!

فقال الطبيب : يا سيدي الستر مطلوب أسمع بذلك ، وإنما هي امرأة في هذا المجتمع ، والمغريات كثيرة وقد تكون الحاجة أيضا.

فقال الملازم : على كل حال أنت قدمت لنا ما يلزم فنشكرك الشكر الجزيل .. وكما تعلم يا دكتور سيرة حياة الشخص تكشف أحيانا كثيرة كثيرا من الغموض ودوافع القتل .. فعندما نعرف أن لها أصدقاء في النوادي الليلة والحانات نقترب على ما أظن من الجناة.

فقال الدكتور وهو ينهض : موفقون يا سيدي وأتمنى لكم من كل قلبي أن تصلوا للجاني أو الجناة فلقد كلفني مقتلها في بيتي غرفة نوم جديدة .. لقد اشتريت اليوم أثاث وغرفة نوم

جديدة.

فتضاحك الملازم وقال : لا بأس من تجديد غرفة النوم يا دكتور .. بس.. لماذا لم تتزوج لحتى الآن ؟! .. فقد عرفنا أنك بغير زواج ولست مطلقا أو أرملا .. والعجيب أن لديك غرفة نوم مزدوجة!

فضحك الطبيب وقال : أتخيل نفسي متزوجا يا ابني .. لقد كبرت على الزواج.

فقال ساخرا : ولكن يا دكتور ما زال لك صديقات يترددن على شقتك ؟

فصاح الطبيب مغضبا : هذا كذب يا سيدي الملازم.

- إحدى صديقات ابنة خالتك قالت لنا ذلك.

فقال الطبيب بامتعاض : هل هي ليلى ؟! .. إنها امرأة تكرهني!



٥

صباح يوم الثلاثاء من نفس الشهر كان الضابط علي محمود على موعد مع جريمة أخرى في شقة الدكتور غازي الرمانية ، البواب أبو حسونة أيضا اتصل بالبوليس مخبرا عن مقتل الدكتور غازي بنفسه ، اتصلت نهى عاملة العيادة بالدكتور حوالي التاسعة صباحا لتستفسر منه هل يرغب بالدوام والعمل هذا النهار؟ فلم يرد ، وبعد عدة محاولات اتصلت بالبواب وطلبت منه أن يذهب إلى شقة الدكتور ويطلب منه الحديث مع العيادة ، فصعد الرجل العجوز إلى الدور الرابع ورن جرس الباب وطرق الباب ولكن بدون جدوى ، فلعب الفأر في عبه ، فعاد وأخذ مفتاح الشقة وأخذ معه الشغالة ماجدة وفتحوا الشقة وفي غرفة النوم وجدوا الدكتور مضرجا بدمائه ، فصرخت الشغالة وقام البواب بالاتصال بالشرطة ، فهرعوا على الفور إلى الشقة وعلق الملازم يحيى بعد الإجراءات الروتينية قائلا : نفس أحوال الجريمة السابقة .. شقة مفتوحة بنفس المفاتيح من غير عنف وحتى خطوات القاتل في المنزل نفس الخطوات والطبيب يؤكد أن وقت ارتكاب الجريمة أيضا بعد الواحدة أو الثانية ليلا.

كان المقدم علي يتمشى في الشقة مستغرقا في التفكير ورجال البحث والمختبر الجنائي يحاولون البحث عن آثار للقاتل من شعرة ورقة ، وقام المصور الجنائي بأخذ الصور لمسرح الحادث ، ورجال الإسعاف يرفعون الجثة إلى سيارة الإسعاف لنقلها إلى دائرة الطب الشرعي للقيام بتشريحها وكتابة التقرير عنها ، وقال البواب بأنه لم يشاهد أحدا يدخل العمارة مع الدكتور في الليل ، ولم يدخل العمارة شخص غريب منذ غروب الشمس ، انتقل المقدم علي لعيادة الدكتور وتحدث مع السكرتيرة حديثا طويلا ومملا ؛ ولكنه لم يظفر منها بمعلومة تكشف وتنير الطريق ، فهي لا تعرف خصوصيات الدكتور ، ثم قالت له في النهاية : أنا لا أعرف أعداء له ولكن أخص أصدقائه الدكتور مالك جبر وهناك خادمه فايز نائل .. شاب مريض ؛ ولكنه خادم نشيط وقد عاشر الدكتور أكثر من خمس سنوات ، وهو يسكن في بلدة تسمى نسمة الربيع ، وهو الذي قد تجد لديه بعض أسرار الطبيب ، فهو خادمه الأمين ويسكن في شقة

الدكتور.

وأخذ الضابط عنوان الرجلين منها ، وانطلق إلى عيادة الدكتور مالك فوجده يبكي صديقه ، وقد صرف الموظفين والمراجعين ، وكان يبدو للضابط أنه في حزن حقيقي على مقتل صاحبه فعزاه فيه وقال : أرجو أن نتعاون يا سيدي لمعرفة الفاعل لتقتص منه العدالة.

فقال بحزن : أنا رهن إشارتك وكلي شوق لمعرفة قاتل صديقي منذ عشرين سنة .. تعرفت عليه يا سيادة المقدم أثناء الخدمة في عيادات الدولة ، ثم تقاعد بعد إكمال مدة التقاعد ، وفتح عيادته في شارع الأمراء ، وظلت العلاقة والصداقة مستمرة بيننا إلى اليوم ، وقد صدمت بموته بهذه الطريقة ولا أعلم لماذا قتل ؟! حقا شيء مدهش ومثير! .. فأنا لا أعرف خصوما له لهم دوافع للفتك والغدر به .. وقد يكون في حياته أسرار ؛ ولكني لا أعرف عنها شيئا .. هو صحيح لم يتزوج وحياته لا تخلو من النساء ، فله صديقات كثر وهو ليس ملاكا ، فهو بشر ويشتهي كما يشتهي الرجال ، فله علاقات عاطفية قديمة وحديثة .. فهو رجل يحب السهر والمتعة واللهو والمسرح والغناء .. وغيره كثير يحيا هذه الحياة الماجنة .. ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك .. فالرجل أصبح في دار الحق .. ولكن إذا تذكرت شيئا يفيد القضية فأنا أقدمه لكم .. وأنا في خدمتكم في كل وقت.

فقال المقدم علي : أنت لا ترى الآن أن أحد أخوة عشيقاته أو أقاربها قتله أو غدر به انتقاما لكرامته وشرفه وغير ذلك من الأمور.

فقال مالك بعد تفكير عميق : لقد كان الدكتور يحسن اختيار أولئك النسوة .. وهن نساء ماجنات معروفات بالسهر والمجون قبل أن يحتك بهن ، ولا تدوم أي علاقة مع إحداهن أكثر من شهرين أو ثلاث ثم يبتعد عنها ويبحث عن غيرها .. فهو لم يعشق امرأة زمنا طويلا ، وقد يكون عرف الكثير من النساء ولم يحدثني عنهن يا سيدي المقدم .. واعلم أنه من النادر ما كان يلتقي بهن في بيته .. وقد يكون خادمه فايز مؤكدا لهذا الأمر، فلما سافرنا رحلتنا الأخيرة أخذ إجازة وعاد لبلدته نسمة الربيع.

فقال المقدم : لابد من الذهاب إلى تلك البلدة ومقابلة هذا الخادم ، قد نجد عنده شيئا يفسر لنا سر هاتين الجريمتين .. وأرجو منك يا دكتور مالك أن تتعاون معنا لأقصى حد وكل معلومة تقدمها لنا تقدمنا خطوة من الجناة أو المجرم اللعين.

ـ سأفعل أيها المقدم فأنا يهمني معرفة القاتل الغادر ، فكما قلت سابقا فنحن أصدقاء وأصحاب منذ عشرين سنة.

سافر الضابطان إلى مدينة الرواحل ، ومنها إلى قرية نسمة الربيع وذهب برفقتهم ضابط من ضباط أمن الرواحل ، وسألا عن بيت السيد فايز نائل فلم يجدوه في البيت فتحدثوا مع والدته ولما علمت بمقتل الطبيب غازي الرمانية ظهرت عليها الدهشة والوجوم والحيرة وقالت متشككة : فايز يعمل خادما في بيت الدكتور غازي الرمانية !! .. نحن نعرف فقط أنه يعمل ممرضا في عيادة دكتور في العاصمة.

فقال المقدم علي : صحيح هذا .. فهو خادم في البيت وممرض في العيادة.

فقالت : أمس كان هنا وزار جدته في المستشفى ، ونزل المدينة فقد علمنا منه أن الدكتور قد سافر لقبرص فأعطاه إجازة ، وأكثر وقت ولدي يقضيه في المدينة مدينة الرواحل ، وأحيانا يأتي في آخر الليل .. فأنا ليس لي في هذه الدنيا إلا هو .. وله بعض الرفاق القدامى في المدينة فيذهب ويسامرهم ويأتي للمبيت هنا ، ومرضت جدته ـ وهي أمي ـ منذ أيام وهي راقدة في المستشفى.

فقال المقدم علي : أنت أرملة ؟

ـ لا .. لا يا سيدي إنني مطلقة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، فوالد فايز موجود وحي وهو من سكان وأهالي هذه البلدة ؛ ولكنه رماني أنا وولدي الوحيد ، وعشت مع أمي وربيت ولدي فايزا ، وتعلم في معهد متوسط في المدينة ، ولما أنهى الدراسة الفندقية اشتغل في أحد فنادق العاصمة ، فيما بعد تعرف على ذلك الدكتور وانتقل للعمل عنده في العياده ممرضا كما قال وبين الحين والآخر يزورنا.

ـ كيف نلتقي به في المدينة ؟

ـ هو نزل على المدينة الكبيرة .. قال أمس سأزور جدتي وأودعها وأعود للعمل فقد رجع الدكتور من السفر ، ولا أظن أنه ما زال في مدينة الرواحل وإلا لجاء للمبيت هنا.. وعلى كل حال هناك مقهى كبير في مدينة الرواحل يجلس عليه مقهى الربيع .. وله صديق يجلس عنده ومعه اسمه المعلم شمر .. شاب شرس وهو معروف في المدينة وقد زارنا مرة أو مرتين.

فقال ضابط مدينة الرواحل معقبا: أجل يا مقدم علي نحن نعرفه شاب معروف وهو من زعران وهمل المدينة .. فلا أدري ما جمعهما على بعض.

فقالت الأم : صحبة مقهى لا أكثر من ذلك .. فابني أصغر من شمر المذكور.

فشكرها المقدم علي وقال : هيا بنا قد ندرك المقهى قبل أن يغلق شكرا يا أم فايز .. إذا حضر ابنك فأخبريه بأن يراجع مركز بوليس مدينة الرواحل لسماع أقواله عن الدكتور القتيل.

فقالت بقلق : سوف أفعل.

ولما أغلقت الباب ورائهم قالت بحيرة : أمعقول أن يكون قد عرف شيئا قديما ؟! .. إنها قصة لها أكثر من ثلاثين سنة!

٦

جلس المقدم علي في مكتبه في دائرة الشرطة وطلب من الملازم يحيى أن يأتي بالصور التي وجدت في شقة الدكتور المقتول فقال يحيى : ألم تتفرج عليها من قبل يا سيدي المقدم ؟!

فرد المقدم : بلى ، لقد تفرجنا عليها فعلا ، ولكن منذ أن عدنا من قرية نسمة الربيع ، وقد قابلنا تلك المرأة أم فايز ، وأنا أقول أين رأيت ذلك الوجه ؟ صورة تلك المرأة .. أين رأيتها ؟ تذكرت أنني شاهدت صورتها ضمن البومات صور الدكتور .. ولما علمت تلك المرأة بأن ابنها يعمل عند الدكتور غازي الرمانية وأنه قتل ظهرت عليها الدهشة والحيرة ، وقد علمت من ملف الدكتور في وزارة الصحة أنه قد عمل في مدينة الرواحل وتلك القرى من حولها ، ونـقل منها لسوء سلوكه وكثرة تحرشه في النساء والمريضات .. فاتصلت بزميلنا الرائد محسن الذي رافقنا هناك بأن يضع البيت تحت المراقبة للقبض على فايز المختفي منذ أيام ، ثم طلبت منه أن يسال الأم هل لها معرفة بالدكتور غازي معرفة قديمة ؟ .. فاعترفت أنها كانت تتردد عليه في مركز الصحة بالمدينة للمعالجة فهي تعرفه منذ أيام بعيدة .. لأجل ذلك دهشت عندما علمت بعمل ابنها عنده .. بل عرف الرائد محسن أن زوجها طلقها لشائعات دارت حولها وحول الدكتور غازي ؛ ولكن بعد رحيل الدكتور عن المدينة لم يحصل بينهم أي لقاء ، وأنت تعلم أن هذه القصص لا تنسى في الريف فيتوارثها الأبناء عن الآباء ، وأن نبذ الوالد لولده وهجر أمه قد يكون قد سبب له عقدة نفسية فحقد على الدكتور غازي ، ولما عرف أنه صاحب وصديق أمه ثار الحقد في قلبه فقتله.

فقال الملازم : والمرأة المقتولة ما بينها وبين الشاب فايز؟ .. بل لماذا لم يأخذ صور أمه من الألبوم إذ رآها ؟

ـ عندما نقابل هذا الشاب سنعرف الكثير الكثير من المعلومات أحضر الصور لنتأكد من صورة تلك المرأة الريفية.

بالفعل لما شاهد الضابطان الصور الفوتوغرافية قال يحيى : فعلا إنها صور السيدة هدى أم

فايز ولكنها قديمة.

فقال المقدم علي : إذن اطلب من الرائد محسن أن يجمع لنا معلومات دقيقة وشهود عن علاقة الطبيب غازي وتلك المرأة ، وليكثف رجالنا البحث عن فايز ويعرفوا الأماكن التي يتردد عليها هنا .. فقد أخبرني محسن أيضا أن المدعو شمرا أخبره أن الشاب فايزا منذ أتى البلدة وهو متوتر الأعصاب، ويشرب الخمر بكثرة وشراهة رغم أنه من النادر أن يشربها ، ولا تكاد السيجارة تفارق شفتيه كذلك ؛ ولكنه لم يفه بشيء أمامه.

ولما انصرف الملازم يحيى لتنفيذ تعليمات المقدم علي رن جرس الهاتف في مكتب المقدم علي فقال له مأمور الاتصال : فتاة اسمها نهى سالم تريد الحديث معك يا سيدي.

ـ صلني بها .. آ .. أهلا أخت نهى .. اتصل بك السيد فايز .. في المستشفى !! أي مستشفى شكرا لك .

وترك السماعة ونادى على الملازم فلما حضر قال: لقد ظهر الفتى فايز يا يحيى.

ـ أين ؟!

ـ إنه مصاب في المستشفى الحكومي .. لقد تعرض لحادث دهس .. هيا بنا نراه .. فقد اتصل بالعيادة يسأل عن الدكتور غازي واليوم سمحوا له بالحديث.

ولما وصل الضابطان المستشفى ، طلبا محضر البوليس فوجدا فيه أن السيد فايزا تعرض لحادث صدم فجر يوم الثلاثاء ، فقد كان يقطع أحد الشوارع فصدمته سيارة مسرعة وهربت واكتشفته سيارة بوليس دورية وهو بين الحياة والموت ، فنقل لأقرب مستشفى ، وأجري له أكثر من عملية وهو يرقد في جناح العظام والكسور في وضع طبي سيئ ، وبعد قراءة المحضر الشرطي صعدا إلى غرفة المريض فوجدوه ملفوفا بالجبص والشاش الطبي ، فلما لمحهما برقت عيناه بشدة ثم همس :أنا القاتل .. أنا المجرم وهذا جزائي العاجل .. لقد شبت النار في قلبي عندما علمت أن هذا الدكتور كان عشيقا لأمي ، وأنه سبب تعاستها ونكران أبي لي .. كان أهل القرية ينظرون لي كأنني ابن زنا لقيط .. الحقد ملأ قلبي عليه.. إنه مجرم أكثر مني.

نظر المقدم لأحد الأطباء الذين حول السرير وقال : هل يمكنه الكلام الكثير ؟

رد الطبيب المعالج : كسور في عظم الجمجمة .. أما الخطر الأكبر فهو في كبده .. وهناك تفتت في عظام فخذيه وساقيه ورغم الصداع الذي يكتنفه فلا بأس من سماع اعترافه . وغمز الطبيب بعينه.

فأدرك الضابطان أنه في وضع صعب وحرج وأنه قد ينتكس من جديد فقال المقدم : الأحسن سماع اعترافه والتفت لفايز وقال : أتحب أن نسمع حكايتك أم لا تستطيع ؟

فقال بهمس : اسمعوا .. قد أموت أعرف أن كبدي انشطر من حدة الصدمة قد يريح الاعتراف أعصابي وضميري .. سأبدأ من البداية .. أنا ابن قرية بعيدة عن العاصمة ، وجدت نفسي أعيش بين أمي وجدتي ، وأن أبي طلق أمي لمشاكل كبيرة بينهم ، وقد تخلى عني حتى إخوتي الآخرين ، ربوا على عدم الإحساس بي ولا يكترثون لي ، وصارت مشاجرات كبيرة بين أبي وأمي من أجل ذلك ، ولكن أبي أصر على التنكر لي ، ويدعي أنني لست ابنه رغم أنني أحمل اسمه ، فلما كبرت ووعيت للأمر ، بدأت أعرف تفاصيل قصة أمي ؛ عرفت أن سبب طلاق أمي أنها كانت تتردد على المدينة القريبة للعلاج في مركز طبي تابع للدولة ، وتعرفت أثناء ترددها على العيادة على طبيب فأحبها وصارت عشيقة له ، فكانت كلما تنزل على المدينة تلتقي به ، وأثناء ذلك ولدت أنا ، ولم يكن أحد يعرف باتصالها بذلك الطبيب الماكر ، ولكن هذا الأمر لم يختف للأبد انكشف السر للممرضات أو قل لإحدى الممرضات ضحايا ذلك الطبيب الماجن ، فأفشته لامرأة من القرية ، فأخذ الخبر ينتقل في القرية ثم المدينة ثم نقل الطبيب إلى مدينة أخرى ، ثم طلق أبي أمي فذهبت لتسكن مع أمها جدتي ، فعشت منبوذا مشكوكا في بنوتي ، بذلت أمي وجدتي الغالي والنفيس حتى كبرت وأرسلتني للمعهد الفندقي لأتعلم الطهي والخدمة الفندقية ، فتيسر لي ذلك رغم الجرح والألم الذي تكوّن في أعماقي ووجداني ، اندمجت في حياة المدينة تناسيت القرية تناسيت أبي تناسيت ماضي أمي واعتبرتها ضحية المجتمع ، لم أكن أدرك يومذاك عمق العلاقة السرية بينها وبين ذاك الطبيب في المركز

الطبي حتى يومها لم اهتم باسمه ومعرفة الكثير عنه .. المهم عرفت أن أمي تعلقت بطبيب ، ثم طرد من المدينة بسبب هذه الصحبة ودار الشك حول أمي ، أنهيت سنتي التعليم توظفت في أحد الفنادق في مدينة الرواحل ، أصبحت أملك المال وتعلمت قيادة السيارات ، وبعد حين اشتريت سيارة صغيرة ولكنها قديمة ، صرت أتردد بها على القرية .. وكنت بين أهلي كأنني غريب ما زال شكهم واتهامهم يحوم حولنا رغم السنوات الطوال ، ثم بلغت الخامسة والعشرين وما زالت تلازمنا نظرات الشك والريبة .. أمي حبيسة القرية منذ أن عرف الناس بحكايتها مع ذلك الطبيب الفاجر .. لم تتزوج من أجلي .. لا تذهب للمدينة إلا أيام الأعياد لشراء الملابس لي .. كان يصيبها المرض والضعف لا تنزل للمدينة وتعتمد على وصفات العجائز في القرية والفلاحين، كان في داخلي بركان وصراع وأقول لنفسي هل يعقل أن تكون هذه الأم الصابرة فاجرة ؟! .. لابد أن ذلك اللعين خدعها وغرر بها مع ذلك كان الناس في القرية يتحاشون الجلوس معي.. مرحبا فقط وينصرفون .. المهم اندمجت في حياة الفنادق والمال ، كان لصاحب الفندق أكثر من فندق في قلب العاصمة ، فطلبت منه أن ينقلني إلى أحدها فقد ضقت من هذه المدينة ومن أهلها، لقد حاولت أمي تزويجي من إحدى بنات القرية المحترمات ، فرفضت وعزفت عن النساء ورغم ما علمته عن أمي من سوء فقد كنت أحبها وأشعر بتضحيتها من أجلي وأعرف الحزن العميق في روحها وبدنها ؛ ولكني ضعيف وعاجز أن أفعل لها شيئا ، حاولت إقناعها بالرحيل إلى العاصمة ولكنها رفضت لأن جدتي لا تريد الموت خارج القرية ، وأثناء عملي في أحد فنادق العاصمة تعرفت على الدكتور غازي الرمانية كان يحضر للسهر في الفندق في المناسبات وحفلات الرقص والأغاني .. وحدث أن سرقت بعض المال من أحد نزلاء الفندق ، وانكشف أمري فتشفع لي الدكتور غازي عند صاحب الفندق فعفا عني ، ومرضت بفقر الدم فأرسلني إلى عيادات زملاء له .. كنت أعجب من مجونه رغم سنه الكبيرة كان يشرب الخمر ويسكر ويعربد ويزني ويلعب القمار أحيانا ، ولكنه عندما يخرج من الفندق يصبح رجلا آخر متظاهرا بالوقار والاحترام .. مرض

هذا الدكتور وقضى شهرين في المستشفى إن لم يكن أكثر وكنت أزوره كصديق ، فلما تقرر أن يعود للبيت عرض عليّ أن أعمل خادما عنده ودفع لي أجرة شهرية مائة وعشرين دينار غير المكافآت ، ووعدني أن يعلمني بعض مهارات التمريض ، وأن أسكن معه في الشقة .. فبعد تأمل قدمت استقالتي من الفندق وانتقلت للعمل عند الطبيب في شقته.

ولما عادت له صحته عاد للعمل في العيادة الخاصة به التي كان يقوم بالعمل فيها مكانه زميله مالك جبر بعد انصرافه من العمل في مستشفيات الحكومة ، رغم مجون الدكتور فمن النادر أن يسمح لامرأة أن تزوره في شقته .. أنا لم أهتم حقيقة بحياته الخاصة كثيرا ، لقد عرفته وعرفت علاقته الغرامية أثناء العمل في الفندق فلم أكترث بفسقه وعبثه ، ومضت الأيام فقضيت عنده أكثر من خمس سنوات إلى أن كان ذات يوم أحضرت له كوبا من الشاي إلى حجرة النوم وكان بين يديه أعداد كثيرة من الصور الفوتوغرافية يقلبها ويبحث فيها عن صورة أو صور .. والحقيقة رغم طول المدة التي مكثتها عنده لم أحاول فتح حقائبه والعبث فيها ومعرفة المزيد من الأسرار عنه ؛ فإن ذلك لم يكن يهمني لأنني أعرف الدكتور بما فيه الكفاية ، وضعت كوب الشاي وأردت الانصراف لحجرتي فنادى : اقترب يا فايز .. هذه صور تصورتها هنا وهناك في الداخل والخارج .. ولكن صدف اليوم أن التقيت بامرأة عرفتها منذ ثلاثين سنة أو أكثر .. كنت يومها موظفا في مدينة الرواحل وكان ذلك في أول سنوات عملي بقطاع الصحة والطب فعندما ذكر مدينة الرواحل تذكرت أمي وقصتها مع ذلك الطبيب فخشيت أن يكون هو العشيق القديم ، توترت وتهيجت أعصابي وذاكرتي فقلت بصوت مخنوق: ثلاثون سنة يا دكتور ؟!

فقال ولم يلحظ التغيير الذي أصابني : أجل ثلاثون سنة .. كنت اليوم في زيارة لأحد الأصدقاء الأطباء في عيادته عندما دخلت امرأة تراجعه .. هو جراح قلب .. فعندما رأيت المرأة عرفتها تذكرتها، وهي تذكرتني فوجمت عندما رأتني فنظرت إلى ملفها الموجود أمام الدكتور فإذا هو نفس الاسم الذي عرفته .. فلما انتهى الطبيب من متابعتها وخرجت خرجت

خلفها واستوقفتها وذكرتها بنفسي فقالت : وكيف أنساك يا دكتور وكل عذابي منك ؟!
فواسيتها وقلت معتذرا : كانت أيام طيش ، ولقد عرضت عليك الزواج ولكنك أبيت حتى لا تتأكد الأقاويل .. إيه لقد طلبت منها أن تطلب الطلاق من زوجها لاقترن بها ، فرفضت فعرضت عليها بعض المال فرفضت .. تذكرت يا فايز أيام الصبا أيام الهوى والشباب .. ثم رفع صورة له معها ودفعها إليّ.

وكانت صورة أمي تمزق قلبي وهاج حقدي وأردت أن أخنق الدكتور من الغيظ والقهر والحقد ولكني جبان ، فتظاهرت أن صداعا ألم بي وعدت إلى حجرتي أبكي وأبكي.. ومن ذلك الحين بدأ في فكري قتل الدكتور والثأر لكرامتي وشرفي ومضى شهر وآخر وقل نزولي لزيارة أمي المريضة بالقلب والهم ، اشتريت مسدسا وجهاز كتم الصوت أخفيته في الشقة.. وبدأت أخطط للقتل ، ووضعت خططا وأفكارا كثيرة إلى أن سمعت الدكتور يتحدث مع السكرتيرة نهى برغبته في السفر لقبرص فتظاهرت أنني بحاجة لإجازة لزيارة أمي وجدتي .. لم يمانع الدكتور فأعطاني أجرة الشهر كاملة ، وأخبرني أن سفره سيكون نهار الخميس بصحبة الدكتور مالك جبر، وأذن لي بالسفر صباح الأربعاء بعد وجبة الإفطار ، وأنا قررت أن أقتله في الليل قبل السفر .. نار الكره والثأر والانتقام تتأجج في قلبي .. وكان الترتيب أن أسافر صباح الأربعاء في القطار .. وفعلا ودعت الدكتور وحملت حقيبة صغيرة بها بعض الهدايا لأمي وجدتي .. وتحدثت مع البواب أبي حسونة وأخبرته بسفري للقرية وانطلقت لمحطة القطار وقطعت تذكرة وافتعلت مشاجرة مع أحد الموظفين ليشهدوا أنني سافرت للبلدة وفعلا وصلت لمدينة الرواحل واستأجرت سيارة سياحية من شركة الحمراء وأخذت بعض الفواكه وسرت للقرية وتعشيت مع أمي وجدتي وبعد دخول الليل وقد رقد الناس ادعيت أنني سأنزل للرواحل للسهر فلي أصدقاء ومعارف فيها ، ولكني انطلقت للعاصمة وبعد ثلاث ساعات ونصف دخلتها وأمام أحد محلات السوبر ماركت الكبيرة أوقفت السيارة وسرت مشيا نحو شارع عمارة الساعد ، كان الوقت بعد الواحدة ليلا ومن الباب الخلفي

للعمارة تسللت إلى الدرج ، ولما صعدت الطابق الأول ركبت المصعد للطابق الرابع وبحذر شديد دخلت الشقة ، وكان المسدس في جيب الجاكيت التي ألبسها وقد خلعت الحذاء وظللت بالجوارب دخلت حجرة الدكتور كنت أظن أن فيها الدكتور راقدا فرفعت الغطاء عن رأسه وأطلقت النار ، فبعد أن أطلقت النار اكتشفت أن امرأة ترقد في فراش الدكتور صعقت .. أين الدكتور؟! عدت فلبست حذائي ثم فتشت الغرف وعدت أنظر لوجه المرأة المهشم بالرصاص وبكيت ولم تأكدت من عدم وجوده هربت كما دخلت وعدت للقرية ، وقد اشتريت زجاجة خمر وشربتها أثناء العودة ، وصلت القرية مع وجه الصباح وأنا سكران ، رقدت في الفراش وأنا أفكر بتلك المرأة التي قتلت على يدي وأنا أظنها الدكتور اللعين ، ولما علمت أن البوليس لم يصل إليّ بعد ، صممت أن أقتل الدكتور.. بعد يومين تحدثت مع نهى متظاهرا بالسؤال عن الدكتور فأخبرتني بأن الدكتور سافر مساء الأربعاء وأن امرأة قتلت في فراشه والشرطة تبحث عن القاتل .. فقلت : سوف أتصل بها بين الحين والآخر مدعيا بالسؤال عن عودة الطبيب غازي .. الصحف لم تنشر شيئا عن الجريمة .. مرضت جدتي وأدخلناها المستشفى في مدينة الرواحل .. ولما علمت بعودة الدكتور من نهى والبواب أبو حسونة رسمت أن أضرب ضربتي سريعا فمددت الإجازة بحجة مرض جدتي ، وفي اليوم المحدد تسللت كالسابق إلى حيث يرقد الدكتور المستغرق بالنوم وأفرغت المسدس في رأسه وصدره ، وخرجت من الباب الخلفي للعمارة وقبل أن أصل إلى حيث أضع السيارة المستأجرة وأثناء قطعي للشارع دهمتني سيارة مسرعة ، وقد عرفت لما صحوت من فقدان الوعي أن اللعين لم يتوقف لإنقاذي ونقلي للمستشفى ، ولولا مرور سيارة دورية البوليس لظللت طريح الشارع حتى فارقت الروح الجسد .. فقد جاء القصاص عاجلا .. وهذا اعترافي وأنا بكامل قواي العقلية كما أرجو ولإراحة ضميري لقتل تلك المرأة بالخطأ ؛ ولكن قدرها كان على يدي والتفت إلى الأطباء وقال : أيها الأطباء أرجوكم أن تضربوني إبرة مخدر لأنام إنني في غاية الألم والتعب .

تمت هذه القصة

* صورة الأم *

قتلت امرأة في شقة الطبيب

كان الطبيب مسافرا خارج البلاد

كان خادمه في قريته البعيدة مستغلا سفر سيده

ولما عاد الطبيب من اجازته فارق الحياة

تسببت صورة الام في جريمتين

كيف ؟ .. ولماذا ؟

هذان ستقرأ جوابهما في قصة صورة الام



التحقيق الجنائي والجريمة